بقلم بسام زايد

مفكرة

افكار عن ايلول والمخابرات واموراخرى !

تلك الايـام في الصحراء

في الايام الاولى لانزال الطائرات على ارض مطار الثورة كان رجال البادية المقيمون في المنطقة لحراسة « الصحراء » متحمسين اشد الحماس للعمل الذى قام به رجـال الجبهة الشعبية ، رغم ان الاجواء التـي عاشتها حركة المقاومة في الشهور التي سبقت العملية كانت اجواء توتر واشتباكات يومية مع قوات النظام .

في الليلة الثانية لعملية انزال الطائرات ضلت احدى السيارات التابعة للجبهة والتي تحمل عددا من المقاتلين ، طريقها في الصحراء ولم يكتشف المقاتلون ذلك الا عندما اوقفتهم دورية من رجال البادية ..

وبوبر الجو نتيجة للتوتر السائد وأصر رجال البادية ان يصطحبوا المقاتلين الى مركزهم كي يسربوا الشاى ، شك المقاتلون بالامر الا انهم برجلوا امام المركز وشربوا الشاى وكلهم حذر ، وفجاه تبدد جو التوتر والحذر عندما قال احد رجال البادية « حبيكم يا رجال ... رفعتو راسنا والله فلنا ما نقدر نبطح الطيارات بالصحرا الا الجبهة » .

ثم توجه بالسؤال لاحد المقاتلين : « كل الاسرى بالطيارات اجانب واسرائيليين ؟ » فاجابه بالايجاب ، فقال له رجل البادية لا تعكوا الاسرى الا بفك اسر المجاهدين من سجن العدو .

فاجابه المقاتل : بوفوفكم الى صفنـا سنحقق ذلك .

وقام رجـال البادية بتوديع المقـاتلين وارشادهم الى الطريق العام وهتافهم يعلو: حييكم .. حي الرجال .

وعنـدما صـدر قرار نسف الطـائرات ونتائج اشلاؤها صـدرت الاوامر للوحدات المرابطة في المنطقة باعتقال رجال الجبهة الشعبية مهما كلف الامر . وقـام الجنود بمحاولة لتنفيذ الاوامر رغم تناقض الامر مع شعورهم وتأييدهم للعمل البطولي الذين عبروا عنه قبل ايام معدودة . ولقد شاهد رجال الجبهة بوادر الارتياح على وجوه الجنود عندما صدرت اليهم الاوامر بخفض فوهات بنادقهم بعد ان وضعهم رجال الجبهة امام الامر الواقع واستطاعوا ببراعـة ان يخترقوا الحصار المفروض عليهم ، وسـمع المقاتلون الذين ضلوا الطريق في الصحـراء قبل ليال معدودة تمتمة رجال البادية « حي الرجال رفعتو راسنا » .

ردود فعل اعدام التل

□ الاهرام : « ان اغتيال وصفي التل حادث مؤسف يوجب في هذه اللحظات البالغة الدقة ضبط النفس وحساب كل خطوة تتلوها تجنبا لان يكون الحادث سببا في اراقة المزيد من الدم العربي » .

□ الرئيس محمد انور السادات : « ارجو ان تتقبلوا اسفي واسف الشعب المصري لهذه الجريمة التي وقعت على ارض مصر ية ضد رئيس وزرائكم وصفي التل . ان الشعب المصري بكل قيمه الحضارية يستنكر بشدة كل منطق تصدر عنه مثل هذه الاعمال » .

□ تحسين بشير : « ان مصر تؤمن بضرورة توفير جو حر يسمح لكل « تيـار فكري » ان يعبر عن نفسه على ان يكون اطار هذا الحوار الفكري هو الحجـة والمنطـق والاقناع ... »

□ الملك فيصل : « نستنكر بشدة الجريمة النكراء . ان الايدي المجرمة اللئيمة كـان عليها ان تمتد الى صـدر العدو الصهيوني بدلا من ان تمتد الى قائد من قادة العرب وزعيم من زعمائها . »

□ زهير محسن عضو اللجنه التنفيذيـة لمنظمة التحرير الفلسطينية : « نستنكر الحادث الذى اغتيل فيه السيد وصفي التل رئيس وزراء الاردن . كما نستنكر مبـدأ الاغتيال السياسي باعتباره احد معطيـات التفكير الارهـابي الفاشستي المعـارض مع عملية الثورة . ان وقوع الجريمة على ارض مصر العربية في مثل هذه الظروف لا يمكن الا ان يكون مؤامرة دنيئة تقف وراءها قوى معادية للامة العربية . »

الشيخ والبندقية

□ ايلول ، شهر دخل التاريخ مرارا ولكن لايلول في تاريخ جماهير الاردن ذكرى لن تمحى وستبقى رمز قدرتهم على العطاء والصمـود والتضحية .

في ليلة القتال التالية شاهد رجال الميليشيا القريبين من مكتب الجبهة الشعبية في مخيم الوحدات عجوزا لا تكاد مفاصله تحمله تتقدم ببطء نحوهم ، ولقد صرخ احدهم به انه قف. اذ كان الجو متوترا ، وخلال القتال يجب توقع كل شيء . كـان العجوز ينوء بحمل « شوال » يحمله ، اقترب احد الرجال منه وقال له : ماذا تريد يا شيخ والى اين انت ذاهب ؟

نظر اليه الشيخ وقال « الى حيث يتجمع الرجال » . وطلب اليه احد الذين اقتربوا منه فتح الكيس الذي يحمله ، تطـاولت الرقاب لترى ثم عادت وتمتم الرجال «بندقية» بعد ان تفحص العجوز الوجوه بشكل سريع رفع صوته سائلا « وين المسؤول ؟ » .

تقدم احـد الرجـال وقال له : ابعني ياشيخ . وبعه ، الشيخ نشيطا وكان منظـر الرجال المقاتلين ت فيه حرارة الحياة من جديد بعد ان كادت تنتهي .

تقـدم الشيخ داخل الحجرة المضـاءة بفانوس بخطوات ثابتة حاول جاهدا ان لا يخفي ثباتها عن الاخرين . وعندما شـاهد الشاب على احدى الخرائط متفحصـا ادى التحية العسكرية وكانه جندي يقف امـام ضابط . رفع الشاب عينيه بسرعة ليرى يد الشيخ التي ترسم التحية العسكرية تحاول اخفاء ارتعاشها ، هب الشاب قائلا « العفو يا شيخ كلنا اخوان . تفضل . كيف استطيع مساعدتك ؟ »

فقال الشيخ بحدة الشباب : « لا اريد مؤونة او ماء اريد ان اقاتل . انني رجل . لقد ابت علي نفسي ان ابقى في الملجا مـع النساء والاطفال . لذلك جئتك كي تعين لي موقعا ادافع عنه . لن اتلفكم . ان بندقيتي في « الشوال » وكذلك بارودها . »

رفع الشاب حاجبيه وساءل « بارودها ؟ » فهز الشيخ رأسه بالايجاب بينما راحت يداه المرتعشتان تفتحان « الشوال » . اخرج الشيخ بندقية قديمة جدا (عثمانية) وكيسا صغيرا من البارود وسيخا طويـلا (لـدك البارود) ، فابتسم الشاب وقال « هون عليك يا شيخ استرح ! انك رجل شهم . انت تريد ان تساهم كما يساهم الرجـال والشباب . »

فصرخ الشيخ : « اى نعم » !

نظر الشاب حوله ثم تمتم بكلمات قليلة في اذن احد الشباب المحيطين به اسرع على اثرها الشاب خارج الحجرة .

لم تمض دقائق حتى عاد الشاب وبيده بندقية صينية الصنع دفع بها نحو المسؤول الذي فحصها للحظات وناولها للشيخ قائلا هذه بندقية افضل ، دربه يا سعيد على استعمالها .

وخرج الشيخ شابا حاملا البندقية الجديدة نحو احد المراكز ليدافع عنه ..!

في اعقاب دعوة مشبوهة

حرب الامبرياليين ضد شعب فيتنـام خلقت في الولايات المتحدة جوا من الرفض لاضطهاد الشعوب الاخرى ، ونمت هـذه الحركة مبتدئة بالطلاب ممتدة نحو الشعب الامريكي الـذي بدا يتحسس اثـار هـذه الحـرب الامبريـالية المباشـرة عليه .. فبالاضافة الى الخسارة البشرية التي منيت بها عائلات كثيرة امريكية .. أصاب التضخم المالي كل بيت وخاصة بيوت الفقراء .

حركة الرفض هذه لم تبق سلبية بـل بدأت تتسيس مع تصعيد الحرب الامبريالية ضد فيتنام . ونشكلت لجان نصرة شعب فيتنام . الا ان النفير الخطير (في نظر وكالة المخابرات المركزية) هو انتقال الفكر السياسي التقدمي والثوري من اوساط المثقفين الى الشعب الامـريكي (وطبقته العاملة خاصة) عبر الاغنية والموسيقى . اصبحت الاغنية الشعبية احدى الوسـائل الرئيسية في التثقيف والتوعية لـرفض حرب الامبرياليين ضد فيتنام . لقد اوجدت هذه الحركة جوا ثوريـا استطاعت المنظمات اليسارية والاحزاب الماركسية مـن خلالـه ان تنمو وتنمي حجمها تنظيميا وتمتد بوسائلها نحو مناطق كانت شبه مقفلة عليهـا منـذ نصف قرن .

شعرت وكالة المخابرات المركزية الامريكية ان الوسيلة الافضل للسيطرة على الوضع ، واجهاض الجو الثوري لن تكـون بالمواجهـة المباشرة كما حصل فـي بداية الامر (حين سقط عدد من القتلى والجرحى فـي معارك مع قوات القمع) لان طريقة التصدي هـذه زادت النار اشتعالا وأتاحت للحركة الفاقـا للعمل جديدة .

وتماما كما نفذ شعار فتنمة الحـرب في فيتنام ، واجهت وكالة المخابرات المركزيـة هذه الحركة الناهضة باسلوب الاجهاض من الداخل ابتداء من ركوب الموجة عبر اشخاص دسّتهم على حركة الرفض وعبر نفس الاسلوب التي بثت عبره حركة الرفض اراءهـا على الشعب الامريكي : الاغنية والموسيقى .

منذ عدة اشهر بدات تغزو اسواق العالم موجة جديدة من الاغاني الامـريكية الشعبية تدعو لله وللمسيح وللسمـاء (ولكن بمفهوم جديد) كطريق انقاذ وحيدة : « مـن اراد الخلاص فليلجا للسماء » . موجة تهـدف لتمييع وتخديـر حركة الشباب الرافضين للحرب الامبريالية ضد فيتنام وغيرهـا مـن الشعوب المضطهدة .

وشباب بيروت « الضائع » الان يمـارس مهارته في « دكاكين » « الفليبرز » علـى انغام واصوات موظفي وعملاء «السي.آي.اي»

القطط والفئران

بيروت عاصمة غريبة يلتقي فيهـا الشرق والغرب على ارض عربية ولكن بمرور الزمن وتزاحم الشرق والغرب اختفى الطابع العربي الا من لمسات المخابرات العربية .

ظريف جدا ان يراقب الانسان لعبة القط والفار في بيروت ، اضخم جهاز للمخابرات هي امريكي وتتبعه جهازان السعودي والاردني ونلعب هذه الاجهزة تارة دور القط وطـورا دور الفار ولكن اللعبة قائمة دوما على ارض بيروت ومع اجهزة مخابرات موازية في القوة ولكن المضادة الاتجاه .

في الفترة الاخيرة اكتشفت هذه الاجهـزة ان محلات « الفليبرز » أماكن مثالية للقاءات السرية ، فداومت على ارتيادها ، لهدفين: الاول اللقاءات دون اثارة مجـالات الشـك والثاني اصطياد الشباب العاطل عن العمـل والذي يرتاد هذه الاماكن من اجل تجنيـده لخدمة هذا الجهاز او ذاك . ان ميزانية جهاز المخابرات وحجمها هي سر الفوز في حـرب المنافسة هذه .

ظريف جدا ان يراقب الانسان المبتدئين المضللين : يضعون نظارات سوداء في الليل ويعتمرون قبعات في الايام المشرقة ويسيرون في الطرق وهم يتلفتون .

امكنة تجمعهم معروفة جدا ، فاشهر لعبة قط وفار تجري هذه الايام في مقهى في شارع الحمراء ، حيث يجلس بعض السياسيين تراقبهم المخـابرات الامريكيـة والاردنيـة والسعوديـة والسـورية وتراقب كل هؤلاء السلطات اللبنانية الـي يهمها ان يبقى الوضع هادئا ...

لحظة !

يجب ان نسـعى لكـي لا يكـرر الشيوعيون ذات الخطا من الجـانب الاخر ، او ، وهو الاصح ، يجب ان نسعى لنصلح باسـرع واقصر وقت ممكن وباقل الإيـلام للجسـم ذات الخطا الذي يرتكبه ، من الجـانب الاخر ، الشيوعيون «اليساريون»